الاذاعات السرية
والحرب النفسية الإذاعية الإمبريالية

الدكتور إبراهيم الداقوقي
قسم الاعلام / كلية الآداب جامعة بغداد

تمهيد

أدت الحرب الباردة بين المعسكرين الإمبريالي والإشتراكي إلى زيادة الاهتمام بتطوير الصناعة الالكترونية والإستعداد لغزو الفضاء الخارجي. وكان من نتائج هذا الاهتمام نجاح الاتحاد السوفييتي باطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء الخارجي عام ١٩٥٧، وقيام الولايات المتحدة الأمريكية بانشاء جهاز للمراقبة، قوامه شبكة من الأسوار الألكترونية تمتد عبر الولايات المتحدة الأمريكية وسلسلة من أجهزة الراديو والرادار الحساسة تكاد تطوق حدود الاتحاد السوفييتي والبلدان الإشتراكية الأخرى.

كانت نقطة المراقبة الأمريكية الأولى - حول الاتحاد السوفييتي - مؤلفة من شبكة رادار وأجهزة مواصلات الكترونية لاسلكية أقيمت في ثلاث مدن تركية صغيرة تقع على البحر الأسود هي: (زونغولداق) و(سينوب) و(سامصون)، وأجهزة الرادار هذه التي يبلغ مداها ثلاثة آلاف ميل، تسجل كل حركة تسبق حركة اطلاق الصواريخ في المركز السوفييتي للصواريخ الواقع بالقرب من بحر آرال.

وهناك نقطة أخرى للمراقبة تابعة للبحرية الأمريكية، وتتكون من

سور الكتروني يمتد من ولاية جورجينا إلى ولاية كارولينا الجنوبية، وتتخلله (أجهزة ارسال) مثبتة في أماكن بولاية الاباما وتكساس واريزونا. وتتجمع الاشارات التي يلتقطها هذا السور الالكتروني في جهاز ضخم بمدينة (داهلجرن) في ولاية (فرجينيا) يستطيع أن يحدد ارتفاع القمر الصناعي ومركزه ووزنه. وهذا الجهاز الألكتروني من الدقة بحيث استطاع عام ١٩٦٠ أن يسجل انفصال سلك صغير جداً في أجهزة قمر صناعي أمريكي[١].

لم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية بنقاط المراقبة الالكترونية، وإنما انشأت (القيادة الجوية الاستراتيجية) التي بدأت بارسال طائرات استكشاف من نوع (يو ٢) لتحلق فوق الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية في أوروبا الشرقية والصين وكوبا. وكانت هذه الطائرات تستعمل آلات تصوير الكترونية تستطيع أن تلتقط صوراً تميز بوضوح بين شيئين ،تفصل بينهما مسافة لا تزيد على بوصتين وذلك من ارتفاع (١٢٥) ميلاً في الفضاء. وقد استطاعت هذه الطائرات التقاط عشرات الصور التي تمثل الشروع بإقامة اطلاق الصواريخ في كوبا، ثم الصور التي تمثل فك تلك الصواريخ وشحنها على السفن، والتي عرضت في التلفزيون الأمريكي يوم ٦ فبراير ١٩٦٣ أيام أزمة الصواريخ الكوبية.

بل إن هذه الطائرات الإستطلاعية كانت تحمل أجهزة الكترونية غريبة. منها (الأذن الألكترونية) التي تستطيع أن تلتقط الأصوات المنبعثة من أية آلة أو مولد كهربائي صغير. وعلى الرغم من إسقاط الاتحاد السوفياتي لطائرة (يو ٢) الأمريكية فوق أراضيها في أول مايس عام ١٩٦٠، وقيام الصين الشعبية بإسقاط طائرة أخرى من النوع نفسه فوق أراضيها يوم ٩ أكتوبر ١٩٦٢، وإسقاط كوبا لأحدى تلك الطائرات

---

(١) ديفيد رايس وتوماس روس: الحكومة الخفية، ترجمة جورج عزيز، القاهرة ١٩٧٢، ص ٣٦٢.

بواسطة صاروخ (سام) السوفياتي عام ١٩٦٣، إلا أن هذه الطائرات لا تزال تمارس مهماتها الاستطلاعية فوق الأقطار الإشتراكية.

أما الأقمار الصناعية التي تطلقها الدول الكبرى إلى الفضاء الخارجي فهي على ثلاثة أنواع:

١ ـ أقمار صناعية خاصة بالانواء الجوية والاكتشافات الفضائية.
٢ ـ أقمار صناعية خاصة بالاتصالات الإذاعية واللاسلكية.
٣ ـ أقمار صناعية استطلاعية (تجسسية).

وإذا كانت الأقمار الصناعية الخاصة بالانواء الجوية واكتشافات الفضاء خارج نطاق هذا البحث، وإذا كنا قد بحثنا موضوع الأقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات الاذاعية واللاسلكية في موضوع آخرمن هذا المؤلف[٢]. . فإننا سنتحدث ـ في هذا الفصل ـ عن الأقمار الصناعية الاستطلاعية التي صُمّمت لتكون جواسيس الكترونية منطلقة إلى الفضاء، ومزودة بآلات تصوير الكترونية دقيقة تستطيع أن تصور أشياء ـ من ارتفاع يتراوح بين ،،ط إلى ٣٠٠ ميل ـ لا يزيد عرضها على قدمين ونصف القدم.

تعد الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة أطلقت الأقمار الصناعية الإستطلاعية عام ١٩٦١ وأسمتها (ساموس)، وجعلتها تمر فوق الاتحاد السوفييتي يومياً ما بين ثماني واثنتي عشرة مرة، وفوق الصين الشعبية بين مرتين وأربع مرات. ثم شرع الاتحاد السوفييتي، خلال عام ١٩٦٢، يطلق ـ بالطريقة نفسها وللغرض نفسه ـ أقماراً استطلاعية أسموها (كوزموس). وفي عام ١٩٧٠ استطاعت الصين الشعبية اطلاق أول قمر صناعي من هذا النوع.

استخدم كل من المعسكرين : الشرقي والغربي هذه الأقمار

---

(٢) هذا البحث فصل من كتاب (الأنظمة الإذاعية) الذي سيصدر قريباً.

الصناعية للاطلاع على أسرار بعضها البعض، وكأداة في الحرب النفسية ولأغراض الدعاية والتبجح السياسي، حيث تدعي كل من دولتي أمريكا والاتحاد السوفييتي بأنها تسبق الأخرى، في هذا المجال بمراحل. فقد صرح (جون موسى) رئيس لجنة الاعلام التابعة للكونغرس الأمريكي عام ١٩٦٣، قائلاً: «يجب ألا يطلب إلى دافعي الضرائب أن ينفقوا مليارات على برامج الفضاء دون أن تعرض عليهم الحقائق التي تيسر لهم أن يكونوا فكرة دقيقة عنها، ليعرفوا ما إذا كنا متقدمين على الاتحاد السوفييتي في هذا المضمار أو متخلفين عنه». «وأكد (اليكس ادجوبي) زوج ابنة خروشوف، ورئيس تحرير ازفستيا ـ سابقاً ـ في خطاب ألقاه في هلسنكي (عاصمة فنلندا) في الثاني من أيلول ١٩٦٣ وجود هذه الحرب الدعائية الخفية قائلاً: «نشرت إحدى صحف الغرب صورة التقطت لموسكو بواسطة قمر صناعي كان يحلق على ارتفاع ٧٥٠ كيلومتراً (نحو ٤٦٥ ميل) حيث بدا مبنى صحيفة (ازفستيا) واضحاً في تلك الصورة. إننا لا ننشر صوراً من هذا النوع، ولكني أعتقد أن في مقدورنا أن ننشر صورة لنيويورك تلتقطها أقمارنا الصناعية»[٣].

بدأ استعمال الراديو كأداة في الحرب النفسية بعد العشرينات، عندما أصبح الراديو أداة إعلامية فعالة بعد التطور التقني الذي شهدته ميادين الإذاعة في تلك الفترة، وكان الاتحاد السوفييتي أول دولة ـ في العالم ـ يستعمل الإذاعة كأداة في الحرب النفسية ضد الدول الغربية التي شنت حملة عسكرية واسعة على الدولة السوفياتية الجديدة، لخلق الاضطرابات الداخلية وتشجيع الجنود المتمردين وخلق قيادات عسكرية معادية للثورة البلشفية. غير أن الاتحاد السوفياتي استطاع القضاء على تلك الحملة الغربية والقيام بحملة دعائية واسعة للمبادىء الماركسية عن

---

(٣) ديفيد رابس، توماس روس: الحكومة الخفية، ترجمة: جورج عزيز، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٢، ص ٣٦٤.

طريق الإذاعة.

وخلال الحرب العالمية الثانية توسعت المانيا وايطاليا في استخدام الإذاعة كوسيلة في الحرب النفسية، لأنها من أمضى الأسلحة في نشر الشائعات الكاذبة وبث الخوف والرعب بين الجماهير. كما استعمل الحلفاء الإذاعة كأداة فعالة ضد دول المحور ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ في حملتها الدعائية المضادة.

واعتباراً من عام ١٩٤٧ بدأت بريطانيا في تمويل الاذاعات الأجنبية في هيئة الاذاعة البريطانية التي تذيع الآن بما يقرب من ٤٤ لغة بالموجات القصيرة والمتوسطة. كما أخذت إذاعة (صوت امريكا) بالبث الخارجي منذ عام ١٩٥٣ وهي تذيع الآن بأربعين لغة(٤).

أما الإذاعات السرية فإنها بدأت خلال الحرب العالمية الثانية حين اكتظت الأجواء الفضائية في أوروبا، بالعديد من الإذاعات التي تشن حرباً نفسية ضارية ضد بعضها البعض، فقد تكلم الانكليز والأمريكان من محطات إذاعية ادعت أنها نازية منشقة أو تمثل مجموعات المانية حرة، أما الألمان فقد كانوا يدسون عبارات وكلمات مناقضة للكلام الذي كانت تتحدث به الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي) في فواصل التوقف خلال الحديث، مما أدى ذلك بالمذيع البريطاني إلى عدم التوقف خلال إذاعة الأحاديث الخاصة بالحرب النفسية(٥).

كما كان الألمان يبثون رسائل إذاعية خاصة إلى الجنود الفرنسيين الصامدين في خط ماجينو، باعتبارها صادرة من ذويهم ومواطني بلدتهم يخبرونهم فيها بأن نساءهم وبناتهم يمارسن الدعارة، حتى أصبحن موبوءات بمختلف الأمراض الزهرية، كما ألقت الطائرات الالمانية

---

(٤) ديفيد رايس وتوماس روس: المصدر السابق.

(٥) يونس بحري: حي العرب هنا برلين، الجزء الثالث، ص ٧٨.

منشورات تحمل هذه الرسائل مع صور تلك النسوة على الجنود الأمريكان في أوروبا[٦].

وقد عمد اليابانيون ١٩٤٢ أثناء الحرب العالمية الثانية إلى إذاعة أسماء القتلى من الضباط والجنود الأمريكيين، كوسيلة لجذب الشعب الأمريكي إلى الإستماع إلى الدعاية اليابانية. وهكذا فعل الحلفاء أيضاً حينما استولوا على محطة الإذاعة بلوكسمبرج، فقد كانت مذيعة رخيمة الصوت تعد برنامجاً بعنوان (الخطابات التي لم تتسلميها) تقرأ فيها الخطابات الغرامية التي وجدت في جيوب القتلى من الجنود الألمان. وكانت المذيعة تذكر الأسماء صراحة، لكن هذا البرنامج أوقف بعد فترة قصيرة لأنه يؤذي المشاعر الإنسانية[٧].

وإذا كانت الإذاعات العلنية بهذه القوة وبهذا التأثير في الحرب النفسية، فما هو دور الإذاعات السرية في الحرب النفسية؟ ومتى نشأت هذه الاذاعات السرية؟ وما هي أنواع هذه الإذاعات؟ وكيف تعمل؟ وما هو موقف الأمم المتحدة من هذه الاذاعات؟

الإذاعات السرية:

نشأت الاذاعات السرية بنشوء المحطات الإذاعية، وربما كانت (اذاعات الهواة) بداية هذه المحطات السرية ولا سيما بعد العشرينات، عندما شهدت الإذاعة تطوراً هائلاً في الميدان التقني والثقافي[٨] ونشوء صناعة الراديو، مما حدا ذلك بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تعديل قانون المحطات اللاسلكية الصادر عام ١٩١٢، بقانون جديد صدر عام

Paul M.A. Limeberger: Psychological Warefare, Washington 1953, 2. ed., p. 138-39.

7. Ibid, p. 139-140.
8. Raymond Williams: Television, Technical and Cultural Form, London 1973.

١٩٢٧ لوضع حد للتشويش الإذاعي بين المحطات ولإعادة توزيع الموجات على المحطات العلنية[٩].

وكان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الاذاعات السرية ـ لا سيما في الدول الرأسمالية ـ وضع القيود الشديدة على إنشاء المحطات الإذاعية، ومنها شرط طلب إجازة الانشاء والضرائب الباهظة المفروضة.

كثرت هذه المحطات السرية خلال الحرب العالمية الثانية نتيجة الحرب النفسية التي أعلنها غوبلز وزير دعاية المانيا النازية ضد الحلفاء، والحملة الإذاعية الشعواء التي قادتها هيئة الإذاعة البريطانية BBC مع حليفاتها في أوروبا ضد المانيا. وقد توسلت الاذاعة البريطانية بوسيلة جديدة في حربها النفسية الإذاعية ضد المانيا النازية عندما، قامت بانشاء محطات إذاعية سرية تتظاهر بعدم معاداة النازية، غير أنها تذيع أنباء هزائم المانيا النازية بشكل مبالغ فيها وبنبرة معادية لهم[١٠]. وخلال مسيرة نضال حركات التحرر الشعبية في أوروبا ضد الفاشية، قامت تلك الحركات مثل مجلس التحرير الشعبي اليوغسلافي، خلال الحرب العالمية الثانية ببث البرامج الموجهة من المناطق المحررة من الاحتلال النازي، مما كان له أثره الفعال في إبراز قوة جيوش التحرير وأهمية نضالها ضد الفاشية، بحيث أدى ذلك بالحلفاء إلى إجراء الاتصالات معها للتنسيق وإبداء المعونة لإحراز النصر على الفاشية.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها اشتد الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي نتيجة الحرب الباردة بينهما، فقامت الولايات المتحدة الأمريكية بانشاء (راديو اوروبا الحرة) عام ١٩٤٩ التي توجه برامجها ضد الإتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية من

---

9. David Dury: Radio News Handbook, 2. ed., U.S.A. 1972, p. 14.
10. Limeberger: op. cit, p. 83.

ثمانية وعشرين جهاز ارسال، تبث برامجها من ثلاثة مراكز، اثنان منها في المانيا الغربية (بمدينة بيليس القريبة من فرانكفورت ومدينة هولزكرشن الواقعة بالقرب من ميونيخ) ويقع المركز الثالث بالقرب من مدينة (كلوريا) بالقرب من لشبونة (البرتغال) ويعمل في هذه المؤسسة زهاء ألف وخمسمائة موظف. وقد قال أحد موظفيها في إحدى المناسبات: «إن هذه المحطة لا تعدو أن تكون محطة خاصة بأموال خاصة». وأضاف: «إننا نتلقى إعانات من الشعب الأمريكي وخاصة من الأموال التي رصدت لراديو أوروبا الحرة..»[11]. وتعد هذه المؤسسة الإذاعية إحدى المحطات السرية التي تشرف عليها ادارة المخابرات المركزية سي. آي. أي في أوروبا، بالإضافة إلى العديد من هذه المحطات في الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

أدى اختراع الترانسستور إلى الاعتماد على الإذاعات في الحرب الإذاعية لكسب اذهان المستمعين، لا سيما الجماهير الأمية في بلدان العالم الثالث عن طريق الاذاعات السرية مما حدا ذلك بالجمعية العامة للأمم المتحدة، أن تتخذ ثلاثة قرارات في أعوام ١٩٤٧ و١٩٤٩ و١٩٥٠. تقضي بوقف الإذاعات غير المسؤولة (السرية) التي توجه من بلد إلى بيوت المواطنين في بلد آخر. غير أن معظم الدول لم تلتزم بهذه القرارات، فقد انشأت بريطانيا محطة سرية في العراق بعد ثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ المصرية، لتوجه برامجها ضد الثورة المصرية وضد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. كما قامت الولايات المتحدة بإنشاء سلسلة كاملة من محطات الإذاعة السرية في الشرق الأوسط وآسيا وأوروبا لإثارة المشاكل في وجه الاتحاد السوفيتي. وكانت إحدى تلك المحطات (راديو التحرير)[12] التي تز[illegible] هيئة خاصة، وأن لها مكاتب في الشارع الثاني والأربعين

---

(١١) ديفيد وايز وتوماس روس: الحكومة الخفية، ترجمة جورج عزيز، ص ٣٧٣.

(١٢) تغير اسمها فيما بعد إلى (راديو الحرية).

بنيويورك وهي توجه برامجها التي تستغرق أربعا وعشرين ساعة يومية إلى **الاتحاد** السوفياتي فقط من سبعة عشر جهاز ارسال تعمل في ثلاث مدن هي: لامبارتايم (المانيا الغربية) وبالز (بالقرب من برشلونة) وتاليبيه (عاصمة فرموزا). وقد أذاعت هذه المحطة أول برامجها في اليوم الأول من آذار سنة **١٩٥٣**[١٣].

وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا عام **١٩٥٨** ونجاح ثورة **١٤** تموز **١٩٥٨** في العراق، أصبحت اذاعة صوت العرب التي تذيع برامجها من القاهرة مصدر خطر على المصالح الامبريالية في المنطقة العربية، بعد أن وجهت حرباً إذاعية لا هوادة فيها ضد الأنظمة العربية المتعاونة مع الولايات المتحدة. فشعرت ادارة المخابرات المركزية «بأنها لا تستطيع أن تدع هذا النوع من الكلام الذي يذيعه راديو القاهرة بدون رد، ومن ثم أنشأت في سنة **١٩٥٨** سلسلة من محطات الاذاعة السرية في الشرق الأوسط، وعلى طول تخومه لمناهضة نفوذ اذاعة صوت العرب..»[١٤]. وفي **١٤** أغسطس **١٩٥٨** صدر بيان رسمي مصري جاء فيه أن ثمة سبع محطات إذاعة سرية تعمل في الشرق الأوسط وتهاجم الجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر شخصياً، وأن محطتين منها تذيعان من الريفييرا الفرنسية والمحطات الأخرى تذيع من عدن والأردن ولبنان وقبرص وكينيا.

واعتباراً من عام **١٩٦٠** بدأت محطة (راديو سوان) تذيع برامجها التي كانت تستهدف زعزعة حكم كاسترو في كوبا. بل أن جزيرة سوان أصبحت مركزاً لمحطة اذاعة سرية تابعة لادارة المخابرات المركزية توجه برامجها إلى كوبا والمكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية حتى عام **١٩٦٤**. حتى أن ديفيد وايز وصف هذه الجزيرة الصغيرة التي تقع بالقرب من

---

(١٣) ديفيد وايز وتوماس روس: المصدر السابق، ص ٣٧١.

(١٤) ديفيد وايز: المصدر السابق، ص ٣٦٨.

كـوبا وهـوندوراس في البحـر الكاريبي، بـأنها «جنة ادارة المخـابـرات المركزية. . . .»[١٥].

استغلت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الاذاعات السرية التي تشكل حزاماً تلف الكرة الأرضية من البحر الكاريبي فالمحيط الأطلسي - محطات التقوية المحمولة على البواخر - فأوروبا والشرق الأوسط والمحيط الهندي ثم المحيط الهادي انتهاءً بأمريكا نفسها، حيث أجهزة الارسال القوية المثبتة في أماكن معينة من ولايات الاباما وتكساس وأريزونا، إضافة إلى محطة الارسال الضخمة في مدينة جرينفيل بولاية كارولينا الشمالية ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى، ولترويج الدعـاية الامبريالية في البلدان النامية. فماذا فعلت المجموعة الإشتراكية للرد على ذلك؟.

قام الاتحاد السوفياتي ببناء مجموعة من الاذاعات القوية للرد على حملات الدعاية الأمريكية، إضافة إلى قيام معظم الأقطار الإشتراكية ببناء محطات قوية للتشويش على هذه المحطات السرية لحماية مواطنيها من الدعاية المضادة. . . . كما عمدت محطات الاذاعة الإشتراكية إلى زيادة بثهـا بلغات مختلفـة رداً على تلك الحمـلات الإذاعية ولنشـر الأفكار الإشتراكية في المعمورة. ففي الخطاب الذي ألقاه (جون ريجاردسون) في ٣٠ كانون الثاني قال: «إن البلدان الشيـوعية تـذيع أسبـوعياً بـرامج تستغرق أكثر من أربعة آلاف ساعـة بثلاث وستـين لغة مختلفـة منها الاسبرانتو. . ويتقدم الاتحاد السوفياتي في هذا الركب الإذاعي ببرامج موجهة إلى الخارج تستغرق ألفا وثلاثمائة ساعة في كل أسبوع. وتليه الصين الشعبية ببرامج تستغرق أسبوعياً نحو سبعمئة ساعة، وتأتي بعدها الما: ا الشرقية. . أما كوبا الصغيرة فتحتل المركز الرابع»[١٦].

---

(١٥) المصدر السابق، ص ٣٨٢.

(١٦) المصدر السابق، ص ٣٦٦.

مما لا شك فيه أن حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، تمتلك محطات سرية تشن بها حربها الإعلامية ضد الامبريالية والعنصرية والصهيونية في مختلف بلدان العالم الثالث، حتى أن دليل المحطات الإذاعية الصادر عام ١٩٧٣ أشار إلى وجود (٨٨) محطة اذاعة سرية في الفلبين، تذيع على الموجة القصيرة التي تتراوح أطوالها بين ٣,٩٤٥ ميكا هرتز و٢١,٧٣٠ ميكا هرتز، ومحطة أخرى في تايلند تذيع على الموجة القصيرة التي طولها ٢,٧٠٠ ميكا هرتز ومحطة إذاعية في لبنان تذيع على الموجة القصيرة التي طولها ٣,٢٥٠ ميكا هرتز[١٧]. كما أن ثمة أكثر من (٢٥٠) محطة سرية في إيطاليا حتى أن الصرح البابوي تقدم باحتجاج إلى الحكومة الايطالية ضد بعض هذه المحطات لقيامها بالتشويش على إذاعة الفاتيكان، علمًا بأن عدداً من هذه الاذاعات ـ الكائنة في روما ـ أقدمت على إعطاء تعليمات خاطئة للهبوط، للطائرات التي كانت تنوي النزول في مطاري العاصمة الإيطالية، وكانت هذه التعليمات تعطى بطريقة فنية من حيث الأسلوب والتعبير مما كاد أن يؤدي إلى حدوث كارثة جوية لو لم يعمد الملاحون إلى التأكد من صحتها باتصالهم مع أبراج المراقبة في المطارين المذكورين[١٨].

أنواع الإذاعات السرية:

ذكر دليل محطات الإذاعة، أن المحطات السرية أو المجهولة، هي تلك المحطات الإذاعية التي تغير موجاتها أو مواقعها بين الحين والآخر[١٩]. وإذا أضفنا إلى المحطات المجهولة التي أوردتها القائمة الجغرافية لدليل محطات الإذاعة.. المحطات الإذاعية السرية العاملة في إيطاليا، فيكون مجموع تلك المحطات حوالي ٧٦٨ محطة إذاعية سرية في العالم.

---

17. Guide to Broadcasting Stations, 14th ed., London 1973, p. 184-187.

(١٨) جريدة الصحافة، العدد الأول ١ ـ كانون الثاني ١٩٧٧، بغداد.

19. Guide, op. cit., p. 196.

تختلف أهداف هذه المحطات الاذاعية السرية من بلد إلى آخر، حيث يستعمل بعضها للدعاية الاستعمارية والحرب النفسية ضد الأقطار الإشتراكية بينما يمثل بعضها الآخر الحركات التحررية، ويؤدي القسم الآخر متطلبات نشر الأيديولوجيات الثورية والتقدمية بالتوجيه والارشاد، كما يشبع جزء من هذه المحطات رغبات الهواة في ميادين الإذاعة. لذلك تزداد المحطات الإذاعية السرية كلما تعكر صفو العلاقات بين دولتين أو حدثت أزمة دولية، أو ظهرت حركة تحررية في بلدان العالم الثالث أو الرأسمالي، نتيجة تعاظم الحركات الوطنية أو التقدم العلمي والتكنولوجي.

عندما تنوي أية دولة القيام بعملية عسكرية أو سياسية ضد دولة أخرى تقرر التمهيد لها سايكولوجياً بتوجيه اذاعات سرية لها، أو برامج خاصة من إذاعات مأجورة لزعزعة ثقة المواطنين بحكوماتهم أولاً، ومن ثم النفوذ بينهما وترويج الدعاية التي تخدم أغراضها. وتنشر أنباء انشاء ـ أو ظهور ـ الإذاعات السرية على الجمهور عن طريق الصحافة، حيث تقوم الدولة التي انشأت الإذاعة سراً بنشر أنبائها في صحافتها أو الصحافة الموالية لها في البلدان الأخرى. أو عن طريق وكالات الأنباء الخاضعة لنفوذها. فقد نشرت الصحف الأمريكية بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ نص برقية غامضة بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٥٨ تقول: «بيروت في ٢٣ يوليو ـ ي. ب ـ بدأت تعمل أمس محطة إذاعة سرية عربية ثانية تطلق على نفسها اسم (صوت العدالة) وتدعي أنها تذيع من سوريا ويتألف برنامجها الذي يصل إلى هنا من نقد لاذع للاتحاد السوفييتي، ولنيكيتا خروشوف رئيس الوزارة السوفييتية، وكانت محطة اذاعة (صوت العراق) قد بدأت عملها من قبل بحملات على حكومة الثورة العراقية . . .»[٢٠]. أو قد ينشر خبر نشوء الإذاعة السرية على الشكل التالي:

---

(٢٠) ديفيد رايز وتوماس روس: الحكومة الخفية، المصدر السابق ص ٣٦٨.

«سمعت أمس إذاعة تطلق على نفسها (اذاعة. . . . .) وتذيع على الموجة القصيرة التي طولها (. . . متراً) وتدعي بأنها تذيع من الأراضي (. . . .) وهي تناهض النظام (. . . .) وتبث هذه الإذاعة برامجها ليلاً (أو نهاراً) من الساعة. . . إلى الساعة. . . . . فقط».

وقد يكون من الصعوبة تقرير موقع المحطات المجهولة بالنظر لما يحدث من تضاؤل تدريجي في مميزاتها وصفاتها والأصوات الخلفية التي قد تكون ذبذباتها تأثرت مرتين بالأحوال الايونسفيرية في الجو، إضافة إلى أن محطات الترحيل Relay Stations تلعب دوراً كبيراً في ذلك[٢١]، فقد قامت هيئة الاذاعة البريطانية بي. بي. سي بترحيل البرامج من محطة الخدمات العالمية World Service Station في المملكة المتحدة، وأوصلتها إلى الشرق الأوسط والشرق الأقصى وجنوب المحيط الأطلنطي عن طريق قواعدها العسكرية المنتشرة هناك.

أو كما تقوم به حالياً اذاعة أمريكا في كرينفيل ومحطاتها عبر البحار في كل من: تانجير وميونيخ ومونروفيا وفي أماكن أخرى من الكرة الأرضية.

وليس من الضروري أن تكون الاشارات القوية المنبعثة من المحطات السرية ـ أو برامجها ـ صادرة عن محطة ترحيل قريبة، لأنه لا يمكن الحصول على هذه الاشارات القوية من محطات سرية بعيدة إذا كان الارسال في نفس جهة واتجاه محطة الاستلام[٢٢].

ويشترط في الاذاعات السرية أن تكون:

١ ـ أجهزتها بسيطة لكي لا تحتاج إلى الكوادر الفنية، وقد تقتصر ـ أحياناً ـ على جهاز لاسلكي يذيع على الموجة القصيرة فقط. أما أجهزة الإذاعات السرية العميلة فإنها تكون ضخمة وذات كوادر فنية

---

21. Guide, op. cit., p. 11.
22. Ibid., p. 11.

عالية، نتيجة تقويتها عن طريق محطات الترحيل ولذلك فإنها قد تذيع على موجات عديدة أيضاً.

٢ ـ قريبة من حدود الدولة التي تبث إذاعتها ضدها لكي لا تتبعثر طاقتها في حالة وجودها على مسافات بعيدة.

٣ ـ سريعة الانتقال من مكان إلى آخر للتمويه على الأعداء، لا سيما الاذاعات السرية التي تستعملها حركات التحرير الوطنية.

٤ ـ تذيع ليلاً ـ عادة ـ ولدقائق معدودة قد لا تتعدى النصف ساعة، إلا إذا كانت من المحطات السرية العميلة فإنها تبث ـ حينذاك ـ في أوقات متعددة من الليل والنهار.

٥ ـ تعمل ـ هذه المحطات ـ بأسلوب الدعاية السوداء المستترة والتي لا تكشف عن مصدرها، وهي دعاية خبيثة ومقنعة يخفي فيها الداعية مصدرها ولا تكشف عن أغراضه السيئة ونقده الخبيث واشاعاته الباطلة وافتراءاته الكاذبة، لغرض بلبلة الأفكار وزرع الشك بين الدولة ومواطنيها لخلق عدم الثقة بينهما، لكي يسهل ـ فيما بعد ـ القيام بمحاولات الاطاحة بتلك الحكومة.

٦ ـ تكون الإذاعات السرية موجهة.

وإذا كان (دووب) قد قسم الدعاية إلى دعاية مكشوفة أو بيضاء White Propaganda، ودعاية مقنعة أو مستترة أو سوداء Black Propaganda. فإن ثمة اعلاميين ـ في الغرب ـ تحدثوا عن الدعايات الوزرية والرمادية وغيرها. غير أننا نضيف إلى النوعين اللذين ذكرهما دووب، نوعاً آخر من الدعاية هي (الدعاية الحمراء) التي تكون مستترة أو مضادة.. وتمارسها الحركات الوطنية والتحررية والاشتراكية في العالم ضد الامبريالية العالمية والعنصرية والصهيونية، وتعتمد هذه الدعاية على

---

23. Doob, L.W.: Public opinion and Propaganda, N.Y. 1950, p. 252.

الصدق وإبراز الحقائق على عكس الدعاية السوداء التي تعتمد ـ بالدرجة الأولى ـ على الكذب والافتراء والتلفيق.

لذلك نستطيع تقسيم الاذاعات السرية من حيث أماكن بثها إلى:

١ ـ الإذاعات السرية التحررية: وهي الاذاعات التي تقوم الحركات الوطنية والتحررية بانشائها لأغراض الحرب النفسية المعلنة ضد الدولة المعادية ـ أو الدول المعادية ـ أو ضد الدولة الأم التي ثاروا عليها.

مكتبة تنمية الثقافة العربية

تعد الاذاعات السرية التحررية بمثابة إذاعات سوداء بالنسبة للدول التي تعاديها لأنها تقوم بفضح أساليبها ومؤامراتها واستغلالها للشعوب ـ أو للشعب المغلوب على أمره تحت نفوذ الحاكم الجائر ـ ونهبها لثروات الأمم.

٢ ـ الإذاعات السرية المعادية: وهي الإذاعات التي تبث من جزء من أراضي الدولة، أو من أراضي الدول الحليفة، ضد دولة أخرى كجزء من حربها النفسية ضدها. وقد تدّعي الدولة المذكورة بأن هذه الإذاعة تبث برامجها من أراضي الدولة الأخرى التي تبث ـ هي ـ برامجها ضدها.

٣ ـ الإذاعات السرية العميلة: وهي الإذاعات التي تقوم بانشائها مخابرات الدول الامبريالية الكبرى في قواعدها العسكرية المنتشرة في بقاع العالم، أو في مستعمراتها، بل أحياناً من البواخر الراسية في عرض المحيطات، وتوجه إذاعاتها ضد الحركات التحررية والأنظمة الإشتراكية في العالم.

٤ ـ إذاعات الهواة السرية: وهي الإذاعات الخاصة التي يقوم هواة الإذاعة بانشائها. وقد لا يتعدى مجال بثها دائرة المدينة التي تم انشاؤها فيها، رغم أنها تسبب ـ أحياناً ـ بعض الكوارث والأحداث المفجعة.

انطلاقاً من هذا التقسيم، يمكننا تقسيم الإذاعات ـ في كافة أنحاء الكرة الأرضية ـ إلى الأنواع التالية:

١ ـ الإذاعات السوداء:

يستخدم تعبير الإذاعة السوداء Black Radio للدلالة على تلك الإذاعات التي تستولي عليها مخابرات دولة من الدولة، ثم تدار من قبلها وكأن شيئاً لم يكن، وذلك رغبة في مخادعة العدو والتمويه عليه. كما يدل على هذا التعبير العمليات الإذاعية التي تمت السيطرة عليها ـ من قبل المخابرات ـ مباشرة أو بطريقة غير مباشرة[٢٤]. إضافة إلى أن كافة الإذاعات السرية تعد إذاعات سوداء بالنسبة إلى الدول أو الجماعات التي توجه إليها برامج تلك الإذاعات. فإذاعة الشرق الأدنى التي أسسها الانكليز في (زيغي) على ساحل قبرص الجنوبي ابان الحرب العالمية الثانية ـ وبقيت مستمرة على الإرسال حتى عام ١٩٥٦ ـ كانت عملية اذاعة سوداء تملكها ـ صوريا ـ هيئة خاصة. ومحطة إذاعة رول Wrul في الولايات المتحدة الأمريكية التي تذيع من على الموجة القصيرة، ولها مكاتب رسمية في (مانهاتن) كانت تدار من قبل المخابرات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية حيث تغلغلت فيها واعانتها مالياً عن طريق الوسطاء[٢٥]. وكان لها دور مكشوف في بعض العمليات التي لها صلة بالحرب الباردة منها عمليتان ـ على الأقل ـ من عمليات ادارة المخابرات المركزية هما: ا عملية خليج الخنازير ـ عن طريق راديو سوان ـ ضد كوبا عام ١٩٦١، وانقلاب غواتيمالا ضد حكومتها الشرعية التقدمية الذي حدث عام ١٩٥٤.

وفي إحصائية أجريت عام ١٩٦٦ كانت للمخابرات البريطانية ـ

---

(٢٤) ديفيد رابس: المصدر السابق، ص ٣٧٠.

(٢٥) ديفيد رابس: المصدر السابق، ص ٣٧٠.

عن طريق هيئة الإذاعة البريطانية بي. بي. سي - محطات إذاعية في غانا وكينيا ونيجيريا وروديسيا وجنوب أفريقيا وسيراليون وليبريا وتانزانيا وأوغندا - قبل استقلال هذه البلدان - إلى جانب محطاتها الإذاعية التي أقامتها في قواعدها العسكرية في بنغازي وجبل طارق ومالطا وطرابلس وعدن(٢٦).

وكانت محطة إذاعة باريس توجه إذاعتها السوداء من منشآتها في باريس رأسا أو عبر محطة برازافيل في الكونغو(٢٧). إضافة إلى سيطرتها التامة على عدد من المحطات الإذاعية في مستعمراتها الكائنة في أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب شرقي آسيا.. توجهها وتشرف عليها مباشرة وإن حملت أسماء أخرى.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها تمارس دعايتها وتبث سمومها عن طريق الإذاعات السرية التي انشأتها في أمريكا نفسها. مثل محطة Wrul وسوان Swan وهيئة راديو كوبا الحرة وراديو الامريكيتين في جزيرة سوان التي تملكها - صوريا - هيئات خاصة.. إضافة إلى الشريط الإذاعي الذي يلف الكرة الأرضية والمؤلف من مراكز ارسال عائمة تبث برامجها من البواخر المجهزة بأحدث الأجهزة الإذاعية، بالإضافة إلى إذاعاتها الكائنة في قواعدها العسكرية المنتشرة في مختلف بقاع العالم.

وإذا كان صراع الأثير يهدف - بالدرجة الأولى - إلى نشر أيديولوجية الدولة بالاستحواذ على عقول البشر والتحكم في سلوكهم، لكي يسهل - فيما بعد - توجيه أفعالهم، فإن الكتلة الشرقية أيضاً دخلت في حلبة هذا الصراع حيث أقامت الصين الشعبية أقوى محطة ارسال إذاعية في العالم، إضافة إلى المحطة القوية التي انشأتها في (دار السلام) عاصمة تنزانيا (١٥) محطة إذاعية سرية (مجهولة) تذيع على الموجة

---

(٢٦) صراع الأثير الأفريقي، مجلة الفن الإذاعي، العدد ٣٤، القاهرة، وكرم شلبي: الراديو والتلفزيون في الحرب النفسية. بغداد ١٩٧٣، ص ٧٠

27. Guide: op. cit., p.11.

القصيرة[٢٨]. أما الاتحاد السوفياتي فإنه يذيع برامج موجهة إلى الخارج تستغرق ألفا وثلاثمائة ساعة في كل أسبوع إضافة إلى المحطة التي انشأها في ضواحي (نايروبي) عاصمة كينيا و(٤٨٨) محطة مجهولة الهوية تذيع من أراضي الاتحاد السوفياتي على الموجة القصيرة[٢٩].

تعد الإذاعات الموجهة، بالإضافة إلى المحطات السرية في كل معسكر، من المعسكرين المتصارعين إذاعة سوداء بالنسبة للمعسكر الآخر. ونشاط الإذاعة السوداء تمتد من البرامج المكشوفة التي تذيعها صوت أمريكا مثلاً، إلى برامج المحطات السرية التي تشرف عليها ادارة المخابرات المركزية في مناطق مختلفة من العالم. وبين هذين النوعين من البرامج الإذاعية نجد سلسلة من العمليات الإذاعية «السوداء»، و و«السرية» و«نصف السرية» والعمليات الإذاعية التي تمولها (الحكومة الخفية)[٣٠]. وتشرف عليها، هي عمليات سرية واسعة النطاق وتقوم ببعض تلك العمليات، هيئات إذاعة تتلقى إعانات من الشركات ومن الجمهور. وفي الوقت نفسه تتسلم إعانات سرية من ادارة المخابرات المركزية، وتعمل ـ بوصفها هيئات خاصة ـ بتوجيه من وزارة الخارجية (الأمريكية) ولكن تلك الادارة ـ أي ادارة المخابرات المركزية ـ لا تكف عن اصدار الأوامر إليها[٣١].

إن الدعاية السوداء تخفي مصدرها، لأن الغرض منها هو اقناع مواطني المعسكر الآخر ـ أو العدو ـ إنما يسمعونه أو يرونه حقيقة واقعة. وهذه الدعاية تحتوي في الغالب على «افتراءات ما دامت الحكومة صاحبة

---

28. Ibid., p. 168.
29. Ibid., p. 192-194.

(٣٠) الحكومة الخفية تعبير اطلقه المؤلفان ديفيد وايز وتوماس روس على إدارة المخابرات المركزية الأميركية لما تقوم به من العمليات المريبة والسرية في انحاء العالم.

(٣١) ديفيد وايز وتوماس روس: المصدر السابق، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

الشأن تفترض أنها غير مسؤولة مباشرة عما تتضمنه هذه الدعاية من معلومات وأفكار وآراء. وهي تبدو وكأنها آتية من جماعات محلية أو أفراد محليين في بلاد العدو أو البلاد المحايدة. وكانت تصدر عن محطات الاذاعة السرية المعارضة وتستعين بالأخبار غير الصحيحة التي كانت تنشر في صحف البلاد المحايدة. وكذلك الشائعات التي كان يطلقها عملاء الحلفاء الذين بعث بهم ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ خلف خطوط العدو. وكانت هذه الدعاية السوداء توجد أيضاً في الصحف والكتب المحشوة بالأكاذيب ضد العدو وغير ذلك من الوسائل الأخرى. . .»[٣٢].

وتنقسم عمليات الإذاعة السوداء إلى نوعين هما: الارسال والاستقبال (او الانصات). ويعمد كل من الجانبين ـ فضلاً عن إذاعة الأنباء والتعليقات ـ إلى مراقبة وتسجيل ما يذيعه الجانب الآخر ليتعرف على آرائه وأفكاره وأساليب دعايته». وفيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية تتولى ادارة المخابرات المركزية نفسها، مراقبة وتسجيل اذاعات الدول الصديقة وغير الصديقة، ولها مراكز استقبال في كل أنحاء العالم تسجل على الأشرطة كل البرامج الهامة التي تذيعها الدول الأجنبية. وتجمع المعلومات المستقاة يومياً من تلك البرامج، حيث ترتب وتنسق ويتم تصويرها على أفلام دقيقة وتوزع بواسطة مكتب (الادارة) في واشنطن على عدد من الهيئات والمصالح الحكومية. وهذه هي في الواقع، العملية الوحيدة (المكشوفة) حقاً التي تقوم بها الادارة»[٣٣].

وقد شهدت منطقة الشرق الأوسط ابان اشتداد الحركات الوطنية، العديد من هذه الإذاعات السوداء الموجهة ضد إيران أيام حكومة مصدق، وضد الأمة العربية عند اشتداد أزمة السويس عام ١٩٥٦، والعدوان

---

(٣٢) الدكتور حسنين عبد القادر: الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٣٩

(٣٣) ديفيد وايز وتوماس روس: المصدر السابق، ص ٣٦٦.

الثلاثي على مصر وبعد ثورة تموز المجيدة عام ١٩٥٨ في العراق، بل إن بعض هذه الإذاعات الموجهة ضد جمهورية اليمن الجنوبية الديمقراطية من عمان (اذاعتا الانقاذ الوطني وصوت الجنوب الحر) ومن قاعدة الظهران (اذاعتا صوت جنوب اليمن الحر وصوت عدن الحرة) استمرت في البث حتى مايس ١٩٧٦.

إن صراع الإذاعات السوداء وبكل الأموال التي تنفقها من أجل تحقيق أهدافها وأغراضها السياسية والأيديولوجية سوف يتسع مجالها مع التطور التكنولوجي العام وثورة وسائل الاعلام، وتزداد حربها المستمرة من أجل الإستحواذ على الإنسان لتوجيهه الوجهة التي تريدها سواء من حيث الدعوة إلى السلام والرخاء أو الاستغلال والعبودية. غير أن ثمة حقيقة يجب أن تدركها الإذاعات الوطنية وهي أنها إذا أرادت أن تقضي على هذه الإذاعات السوداء، فما عليها إلا أن تقول الحقيقة، كل الحقيقة، للجماهير لكي لا تستطيع هذه الإذاعات السوداء من النفوذ إلى مواطنيها من خلال زرع الشك بين الحكومات ومواطنيها، لأنها ـ أي الإذاعات السوداء ـ تمثل دوما الشخص الثالث الذي يستطيع أن يندس بينهما خلال الشائعات والمواقف غير الواضحة لينفث سمومه ويروج لدعايته وأيديولوجيته المعارضة.

٢ ـ الإذاعات الحمراء:

وهي الإذاعات الخاصة بالحركات التحررية والوطنية في العالم، وكذلك الإذاعات الموجهة من المعسكر الإشتراكي والتي تهدف إلى:

١ ـ كسب تأييد الجماهير داخلياً وخارجياً.
٢ ـ التأثير في أفكار الكتل الشعبية وانتزاعها من تأثيرات الأفكار المعادية.
٣ ـ مواجهة الغزو الإعلامي الخارجي بالعقيدة الإشتراكية والثورية.
٤ ـ فضح أساليب الأعداء ومحاولة خلخلة النظام المعادي توطئة لاسقاطه.